تجسد الله الكلمة لكي يجعلنا أبناء للآب، وهيكلاً للروح القدس

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

www.coptology.org

تجسَّد الله الكلمة لكي يجعلنا أبناء للآب،

وهيكلاً للروح القدس

كل عام وكل القراء بخير وصحة وسلام. تمنيات في المسيح ربنا أن يحفظ أُم الشهداء من كل شر، وشبه الشر، وأن يعيد كل عام علينا وعلى كل مصري ومصرية بالخير، وأن تحيا مصر وتتقدم.

نحن لا نحتفل بعيدٍ يأتي مرةً واحدةً كل عام، بل نحتفل بالإنسانية التي وُلِدت ميلاداً جديداً من الماء والروح في المعمودية على مثال ميلاد الرب يسوع من أُم النور ومن الروح القدس.

فالاحتفال بتجسد الابن الكلمة، هو احتفالٌ خاصٌّ بنا نحن الذين حرَّرنا الابن من رباطات الطبيعة البيولوجية، أي ولادتنا الجسدانية من أبٍ وأُمٍّ؛ لأنه هكذا وُلِد هو، بلا أبٍ حسب الناسوت، وبلا أُمٍّ حسب اللاهوت. ولكنه وحَّد اللاهوت بالناسوت، فصارت القديسة مريم حقاً "والدة الإله"، وصار ميلاد الرب هو مثال ميلاد كل مؤمن قَبِلَ الاتحاد بالرب يسوع.

إن عيد التجسد، هو عيد اتحادنا بالثالوث القدوس في الابن وبالروح القدس، وبدون هذا الاتحاد السري الإلهي، لا يبقى لنا إلا الشكل اللفظي من كلماتٍ تُقال لا تجعلنا نرتفع إلى ذلك العطاء السماوي المدهش حقاً.

في الاحتفال بالعيد أرجو من القراء دراسة كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي حقاً، فهو أهم ثمار مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، وله طعم العسل لمن أراد أن يتذوق عسل الأُلوهة المستعلَنة في "الحضور المتجسد للرب يسوع".

الاتحاد الأقنومي لم يكن من أجل الرب وحده، بل بالحري لأجلنا نحن الذين، إذ كنا غرباء عن الله، تكوَّنت لدينا –بفعل رواسب الوثنية القديمة– قاعدة عقلية، هي الاحتكام للحس الإنساني والشعور البشري، ولكن جاءت صدمة التجسد، فانهار بناءُ الوثنية، تلك الصدمة التي كشفت عن محبة الله الثالوث للجنس البشري، أي محبته للطبيعة الساقطة التي احتاجت إلى تجديد الكيان الترابي الذي لا يصلح للحياة الأبدية؛ لأنه يحيا على ثمار الأرض. هذا ما شرحه القديس أثناسيوس في تجسد الكلمة، والرد على الأريوسيين، لا سيما في المقالة الثالثة، وفي الرسائل إلى أدلفوس وإبكتيوس ومكسيموس والرسائل الفصحية في أعياد القيامة.

وإذا كان العيد يأتي في هذا العام وقد رحل عنا –غدراً– عالمٌ جليلٌ، هو الأنبا أبيفانيوس الأسقف الذي كان يملك أن يقدم الكثير لأُم الشهداء، إلا أن رجائنا هو في أكثر من أبيفانيوس، خصوصاً وأن هناك صفوفاً من الجيل الذي لم يكن يعرفنا، قد كرسوا جهودهم لاستعادة التراث والتعليم الآبائي الذي كان مجهولاً طوال العصر الوسيط.

لذلك، لن يحجب عنا الحزنُ ووجع القلب، رؤيةَ المصير الأبدي المستعلَن لنا في يسوع رب المجد؛ وهو الجلوس معه على عرشه السماوي (رؤ ٣: ٢١)، فقد وضع لنا التجسد هذه الغلبة، وهذا الأساس الذي تقوم عليها هذه النقلة النوعية، وقد حرَّرنا الصَّلبُ من أوجاع الخطية ولعنة الموت، وحققت لنا القيامةُ الخلودَ في السماء.

أطيب التمنيات للسيد الرئيس ورئيس الوزراء وكل الوزراء، والقوات المسلحة درع مصر والشرطة وكل شعب مصر بأن يعيد الله مثل هذا العيد بالخير والعافية على الجميع.

وطلبة خاصة بالهدوء والسلامة للكنيسة أُم الشهداء، وللجالس على عرش مار مرقس الرسول الطاهر والشهيد، وللآباء الذين نالوا كرامة الكهنوت من الرب يسوع نفسه.

د. جورج حبيب بباوي